التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأهرام الى عالم المدرسة

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى خذوا سنى العظمة فى نسقها
الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ... ...

— ٢٥ —

لم يتردد الرئيس في العمل على إبطال قرار فريمونت على الرغم مما بدا له من تحمس الرأى العام له ومظاهرته إياه فيه على نحو ما بينا ؛ ولقد كان من أبرز خلال أبراهام أنه كان لا يعرف التردد أو النكول إذا هو عقد النية على أمر اقتنع بصوابه واطمأن إلى نفعه ووثق من مقدرته على الاضطلاع به ؛ وما جرب عليه من عملوا معه أنه صمم قط على رأى ثم انصرف عنه ؛ ولذلك كانوا إذا عزم أذعنوا طوعاً أو كرهاً فما لهم من ذلك بد ...

وتصرف لنكولن تصرف السياسى الحكيم ، فكتب إلى فريمونت يسأله أن يعدل قراره وأن يظهر للناس كأنما يفعل ذلك من تلقاء نفسه ؛ ولكن فريمونت لم يذعن لذلك وكبر عليه أن يتراجع ؛ فلم ير الرئيس بدّاً من أن يعلن قراراً عدل به قرار فريمونت غير عابئ بما كان من مخالفة الرأى العام له ولا وجل من تصايح الصائحين من دعاة التحرير ... وبذلك العمل الحازم الحكيم قضى الرئيس على نذير من نذر الفرقة والتنابذ ، وكسب بذلك وقوف ولاية كنتوكى إلى جانبه ...

ولا تحسبن الرئيس كما تقول عليه خصومه ومخالفوه فى الرأى من أنصاره ، قد اتخذ بذلك سبيلاً رجعية ؛ كلا ، إنما هى السياسة الحكيمة تقضى عليه ألا يتنكب الطريق التى رسمها منذ شبت الحرب ، ألا وهى جعل المحافظة على الوحدة أساس هذا الصراع القوى ؛ أما مسألة العبيد فما هو بغافل عنها وإنما هو يؤثر الأناة حتى تهيأ الفرصة ...

هذا ما كان من أمر فريمونت ؛ أما ما كليلان فلقد ظل يدرب جيشه على حدود فرجينيا وهو لا يفتأ يرسل إلى الرئيس يطلب فرقاً جديدة ، ولا يفتأ يتبرم بأى استفهام يأتيه من قبل الرئيس عما هو عسيٌّ أن يفعله ؛ ولقد كان هذا القائد الشاب يكره من الحكومة تدخلها فى شؤونه ؛ بل لقد كان يزدري أعضاء مجلس الوزراء ويرميهم بالغباء ، أو كما يقول إنه شاهد أكبر نوع من الآوز فى ذلك المجلس

وبلغ به الذهاب بنفسه حدّاً جعل الناس يظنون به الظنون حتى ليحسبونه يتطلع إلى الرياسة ، فهو ينتظر لا يعمل عملا حتى تواتيه الفرصة إلى انقلاب يأتى به على غرة ... ولكن الرئيس على الرغم من مسلك ما كليلان يعينه قائداً عاماً للقوات بعد أن يترك سكوت العمل لكبر سنه

ولا يقف صلف ما كليلان عند [illegible] ؛ فلقد ذهب الرئيس مرة إليه يستنبئه عن أمر ، فتركه القائد لحظة ينتظر قبل أن يلقاه؛ وشاع ذلك فى الناس، وأشارت إليه الصحف ، وانعقدت الآراء على استنكاره ، ولكن الرئيس لم يعبأ بما حدث ، فما كان هو بالذى تلهيه المسائل الشخصية عما هو فيه ، ولقد رد على ذلك بقوله « إنى لأمسك لما كليلان زمام جواده إذا هو جاء لنا بانتصارات » .

ولكن حدث بعد ذلك أن ذهب الرئيس ومعه كبير وزرائه إلى مكان القائد فلم يجداه ، فجلسا ينتظران حتى رجع ؛ وأنبأه بعض الجند بانتظارهما إياه ؛ فصعد إلى غرفته وأرسل إليهما رسالة يأسف فيها لعدم استطاعته أن يراهما لأنه متعب ! واستشاط سيوارد من ذلك غضباً، ولكن الرئيس راح يهون الأمر عليه . . على أنه كف بعدها عن زيارة ذلك القائد المدل بنفسه . .

وقدر على الرئيس فضلا عن ذلك أن يلاقى العنت من الرأى العام كما يلاقيه من أكابر قواده ، ومن أمثلة ذلك ما كان من موقف الناس إزاء قرار فريمونت فلقد ثاروا يومئذ فى إعنات الرئيس وإحراجه . . حتى كان موقف آخر فعادوا إلى غيهم يأخذون على الرئيس مسالك القول والعمل ، وكان ذلك الموقف نتيجة لما أدت إليه الحوادث بين حكومة الاتحاد الشمالى وبين الحكومة الانجليزية . .

كان لنكولن يخشى أن تسوء العلاقات بين حكومته وبين انجلترة ، إذ كانت الأنباء تنذر بذلك ؛ فكثير من رجال الحكومة الانجليزية كانوا يرون أن تعترف حكومتهم بالاتحاد الجنوبى كحكومة مستقلة حتى يتسنى لانجلترة أن تدخل سفنها الموانىء الجنوبية وعلى الأخص موانىء القطن ، دون أن يكون فى ذلك

تصادم مع الحصار المضروب عليها من الشماليين . . وأخذت الصحف الأنجليزية تدعو إلى ذلك وتلح فى الدعوة غير عابئة بما ينطوى عليه ذلك من التحدى لأهل الشمال .

واشتد غضب حكومة الاتحاد الشمالى بقدر ماعظم فرح الجنوبيين ، إذ كان كل فريق ينظر باهتمام شديد إلى ماعساه أن يحدث من جانب انجلترة . . وبلغ من استياء سيوارد أنه كتب احتجاجاً إلى الحكومة الأنجليزية ، لم يخفف من حدته ما أدخله عليه الرئيس من تعديل ، فلقد كان يحرص الرئيس أشد الحرص أن يفوت على الجنوبيين مايأملونه من انضمام انجلترة إليهم .

وفى هذا المأزق الحرج يأتى أحد القواد البحريين عملا تزداد به الأمور تحرجا حتى ليحسب الناس أن الحرب واقعة بين انجلترة والولايات المتحدة ما من ذلك بد ...

وبيان ذلك أن القائد البحرى ولكس دام سفينة انجليزية كانت تحمل رسولين من قبل الولايات الثائرة أحدهما إلى انجلترة والآخر إلى فرنسا أبحرا ليسعيا لدى الحكومتين الانجليزية والفرنسية أن تأخذا بيد الاتحاد الجنوبى . . . وأرغم ولكس الرسولين على النزول فأسرهما على الرغم من احتجاج قائد السفينة الانجليزية

ووصلت الأنباء إلى وشنجطون فراح الناس يعلنون إعجابهم بالقائد ولكس ويثنون على عمله ، وما لبث أن انهالت عليه رسائل الاعجاب والثناء ؛ ولقد أثنى عليه فيمن أثنوا المجلس التشريعى نفسه ، وكثير من الزعماء ورجال الصحافة ؛ وهكذا انحاز الرأي العام إلى جانب ولكس كما انحاز إلى جانب فريمونت من قبل لتزداد بذلك الأمور تعقدا وخطرا ...

أما عن موقع النبأ فى انجلترة فلك أن تتصور مبلغ ما أثار من سخط واستنكار ، فى ظروف كتلك التى نتحدث عنها ، وكذلك كان للنبأ فى فرنسا موقعه الشديد وأثره السيء

اعتبرت انجلترة هذا العمل من جانب القائد ولكس إهانة موجهة إلى العلم البريطانى الذى كان يخفق فى سارية تلك الجارية التى كانت تحمل الرسولين وقدمت لندن إلى وشنجطون احتجاجها وأنذرتها أن تقابل العدوان بمثله إلا أن تسرع بتقديم الترضية الكافية ، ولن تقنع انجلترة بأقل من إطلاق الرسولين وتقديم التعرض لهما ثم الاعتذار عما حدث ...

عندئذ اشتد هياج الولايات ورأت فى إنذار انجلترة إياها معانى الاذلال وسوء النية وقبيح استغلال الحوادث ؛ وأصر الناس على المقاومة مهما يكن ثمنها . وأمدت انجلترة حامية كندة وأخذت الولايات تزيد فى قوة ثغورها الشمالية ، وفى الجملة لم يبق إلا إعلان الحرب . على أن بعض العقلاء استطاعوا أن يطيلوا الوقت المحدود للانذار بضعة أيام على أهل الولايات وخصومهم فى انجلترة يرون حلا تحقن به الدماء

وأخذ الوقت يتصرم ولكن أهل الولايات مصرون على موقفهم لايثنيهم عنه شيء ورئيسهم ووزراؤه يفكرون فى هذا الخطر الداهم ، وكان سيوارد يميل الى خوض غمار الحرب ضد هؤلاء الانجليز الذين تنطوى قلوبهم على الحقد والحنق منذ خلعت الولايات الأمريكية نير انجلترة فى عزة وإباء

وهكذا يجد لنكولن نفسه فى شدة ما مثلها شدة . . . فهو بين أن يجارى الرأى العام وبذلك يجر على البلاد حربا خارجية طاحنة تأتى مع الحرب الداخلية القائمة فى وقت واحد ، أو يطلق الرسولين ويقضى على أسباب الخلاف بينه وبين انجلترة وبذلك يجنب بلاده خطرا محدقا ، وإن تعرض بعدها للوم اللائمين وسخط الساخطين واتهامات المبطلين . . .

ولكنه لنكولن الذى لا يعرف الخور والذى لا يطيش فى اللمات صوابه . . . إنه الرجل الذى تزداد عزيمته مضاء بقدر ما تزداد الحادثات عنفا وخطرا ، والذى تزداد قناته صلابة كلما ازدادت الخطوب فداحة والأعباء ثقلا واستفحالا . . .

عقد ابراهام مجلس وزرائه وأخذ يناقش الأعضاء ويناقشونه وهو من أول الأمر لا يؤمن بعدالة ما فعله ولكس ؛ وبعد جهد استطاع أن يحمل المجلس على قبول رأيه ثم أعلن بعدها فى شجاعة وحزم اطلاق الرسولين ، وأجاب على إنذار الحكومة الانجليزية برسالة متينة جاءت دليلا قويا على حكمته وبعد نظره ، رسالة احتفظ فيها بكرامة بلاده وعزة قومه، وجنبها بها فى الوقت نفسه خطرا ما كان أغناها عنه يومئذ

وارتاحت انجلترة لما فعل الرئيس وأثنى رجالها على حنكته وشجاعته ؛ ولكنه لاقى فى بلاده من السخط والاستياء مالا يقوى على مواجهته غيره ، وأوشكت مكانته فى القلوب أن تتزعزع ، وراح يرتاب فيه المتحمسون ويصفون عمله بالجبن والخور . . . ولكنه فيما بينه وبين نفسه يعتقد أنه أسدى صنيعاً إلى قومه لا يدركه إلا العقلاء ، الذين لا يجعلون فى كل وقت للعواطف

سلطانا على أعمالهم . . . . قال مرة يرد على الساخطين « لقد حاربنا بريطانيا العظمى مرة لأنها فعلت عين ما فعله الكابتن ولكس ؛ فاذا مارأينا الجلترة تحتج على هذا الفعل وتطلب إخلاء سبيل الرسولين فواجبنا هو ألا نخرج على مبادئنا التي ترجع إلى عام ١٨١٢ . . . . يجب أن نطلق هذين السجينين وحسبنا حربا واحدة في وقت . . . . »

ومضى العملاق بعدها في سبيله يؤدي للانسانية رسالته ؛ وإننا لنرى هذا الجبار الذي درج من بين الأحراج والأدغال يحمل العبء وحده في الواقع . . . بل إنه كما ذكرنا ليلاقي مما يفعل كثير من أكابر رجاله أعباء تضاف إلى أعبائه ولكنه معود حمل الأعباء ومواجهة الأنواء

وإنه ليسأل نفسه: ألم يأن لهؤلاء الرجال أن يعملوا كما تطلب الظروف ؛ وماذا على فريمونت لو كان رجع إلى الرئيس، ثم ماذا على ما كايلان لو أنه خفض جناحه وألان جانبه وأخذ الأمور بالشورى . . ؟ ولكن ها هو ذا قائد آخر يفعل مثل مافعل فريمونت، وذلك هو هنتر الذي كانت له القيادة في كارولينا الجنوبية ؛ وكان هنتر أكثر جرأة من فريمونت أو على الأصح أكثر نزقا فلقد أعلن أن سكان ڤرجينيا وفلوريدا وكارولينا الجنوبية من العبيد أحرار بعد اليوم إلى الأبد . . . .

ولم يسع الرئيس إلا أن يعجل بنقض هذا القرار في غير مجاملة أو هوادة ، فلقد كان هنتر خليقا أن يعتبر بما كان من أمر صاحبه فريمونت وكان مما أعلنه الرئيس قوله : « إن حكومة الولايات المتحدة لم تخول للقائد هنتر ولا لأي قائد أو شخص سواه من السلطان مايعلن معه تحرير العبيد في أية ولاية من الولايات، وإن هذا الاعلان المزعوم، سواء كان حقيقيا أو زائفاً، هو إعلان باطل »

ولا يكاد الرئيس ينتهي من نزق إلا ليواجه نزقاً غيره ، فهاهو ذا وزير الحربية كامرون يرسل رسالة إلى بعض الضباط شبيهة بما أعلنه فريمونت وصاحبه . . ولولا أن تدارك الرئيس الأمر لأحدثت من سوء الأثر مايصعب بعد علاجه ؛ ولقد أبرق الرئيس إلى مكاتب البريد لترد نسخ تلك الرسالة المطبوعة وحال بذلك دون وصولها إلى وجهاتها . .

ولما أن يئس الرئيس من ما كايلان وقد مضى عليه أكثر من عام وهو لايعمل أكثر من تدريب جنده ولا ينفك يطلب فرقاً جديدة ؛ رأى أن الموقف يقضي عليه أن يدرس فنون الحرب والتعبئة ؛ أليس هو بحكم مركزه القائد الأعلى للقوات البرية والبحرية ؟ وإذاً فعليه أن يتعلم فن الحرب اليوم كما تعلم مسح الأرض من قبل وتخطيطها وكما تعلم القانون حتى حذقه ، بل وكما تعلم القراءة والكتابة قبل ذلك جميعاً وهو بين مطارح الغابة

ثم الرئيس من قاعده وراح يدرس ويتعلم لاينى ولا يكل ساعات طويلة من النهار وساعات من الليل ؛ الخريطة مبسوطة أمامه، ومعلموه من الحربيين يتناوبون العمل معه واحداً بعد الآخر حتى فهم بعض الفهم وأصبح له شيء من الرأي ! يالله من هذا العبقري الجبار الذي يحمل على كتفيه ما كان ينوء بحمله أطلس أو آخيل!

واستطاع الرئيس بعد مدة أن يدلي للقواد برأي في فنهم، ولكنه كان حذرا يعرض الفكرة ويترك القطع بصحتها للقائد المرسلة إليه. ولقد كتب مرة إلى أحدهم برأيه ثم شدد عليه ألا يتقيد به قائلا إنه يلومه أكبر اللوم إن هو تحيز له أو تردد عن العمل بما تمليه عليه خبرته إذا كان ذلك الرأي لا يتفق وهذه الخبرة ...

على أنه يكتب إلى ما كايلان نفسه ذات مرة مشيرا عليه بما يجب أن يعمل ، في خطة مرسومة على أساس فني ، ولما رد ما كايلان عليه برفض تلك الخطة لم يقره الرئيس ، وعاد فكتب إليه يسأله أسئلة تدل على فهم دقيق وإلمام شامل ، ويدع له أن يجيب على تلك الأسئلة الفنية إجابة صريحة نزيهة والرئيس مستعد بعدها أن يقره .. ثم تحا كما إلى إخصائيين، فما زال الرئيس يدلي لهم بحججه ويريهم أن خطته أضمن وأسلم من خطة القائد ما كايلان ، ولكنهم آخر الأمر أقروا خطة ما كايلان ، فلم يسع الرئيس إلا أن يذعن وإن كان لا يزال يرى وجاهة آرائه ..

(يتبع)

الخفيف

قضيـــة الفـــلاح

تعرضها

الآنسة ابنة الشاطىء

على الضمير الانساني والرأي العام

يطلب الكتاب من مكتبة النهضة المصرية
١٥٠ شارع المدابغ مصر ومن المؤلفة بجريدة الاهرام